

وداع يليق بالضيف.. كيف نختم حكاية الثلاثين يوماً؟

كاتب العنزي



يمضي شهر رمضان بسرعة لافتة، وكأن أيامه ولياليه تتسارع فلا نشعر بها إلا عندما نبليغ محطاته الأخيرة. وما إن تقترب أيامه من الرحيل حتى يتسلل إلى القلب شعورٌ مختلف؛ امتنان للأيام الجميلة التي عشناها في رحابه، وحزن لأن هذا الضيف الكريم يستعد للرحيل.

رمضان ليس شهراً عادياً في حياة المسلمين، فهو موسمٌ للعبادة، وفرصةٌ لمراجعة النفس، ومحطة يتعلم فيها الإنسان كيف يضبط رغباته ويهذب سلوكه. في هذا الشهر تتغير ملامح الحياة اليومية، وتزداد صلة الناس بربهم، وتكثر أعمال الخير، وتتعرّز روح التكافل بين أفراد المجتمع.

لكن مع اقتراب نهاية الشهر، يبدأ الإنسان بمحاسبة نفسه.. ماذا قدم في هذا الشهر؟ وهل استثمر أيامه كما ينبغي؟ فكم من شخص كان يخطط منذ بداية رمضان أن يقرأ القرآن أكثر، أو يحافظ على الصلاة في وقتها، أو يعد يد العون للمحتاجين، ثم يجد نفسه يتمنى لو عاد به الزمن قليلاً ليعوض ما فاتته.

إن أجمل ما في هذه اللحظات الأخيرة من رمضان أنها تُذكّر الإنسان بأن الأبواب ما زالت مفتوحة، وأن الفرصة لم تنته بعد. فالعبرة ليست بكثرة الأيام، بل بصدق العمل. وربما تكون لحظة إخلاص واحدة في نهاية الشهر سبباً في قبول أعمال شهر كامل.

كما أن رحيل رمضان يحمل رسالة مهمة، وهي أن القيم التي تعلمناها فيه لا ينبغي أن تنتهي بانتهائه. فالصلاة التي حافظنا عليها، والقرآن الذي عشنا مع آياته، والصدقات التي قدمناها، كلها يجب أن تبقى جزءاً من حياتنا بعد رمضان، لا مجرد عادات موسمية.

ولعل أجمل ما نكتسبه من هذا الشهر هو الشعور بأننا قادرين على التغيير، وأن الإنسان يستطيع أن يكون أفضل إذا صدقت نيته. إن أعظم ما يمنحه رمضان للإنسان ليس أيامه، بل العادات الصالحة التي تبقى بعد رحيله. وحين نودع رمضان، فإننا لا نودعه بالحزن فقط، بل بالدعاء أيضاً: أن يتقبل الله ما قدمناه، وأن يبلغنا رمضان القادم ونحن في صحة وخير، وقد أصبحنا أقرب إلى الله وأكثر حرصاً على فعل الخير.

فقد يرحل رمضان من التقويم، لكنه يجب أن يبقى حاضراً في القلوب والسلوك. وفي هذا المعنى الحقيقي للعبادة، أن تتحول أيام الخير إلى أسلوب حياة لا ينتهي بانتهاء موسمها.

كاتب العنزي